

لمحة إقليمية: سقوط نظام الأسد: التحديات والفرص أمام روج آفا

كتبها Pinar Dinc باحثة في مركز دراسات الشرق الأوسط جامعة لوند.

نُشرت في العاشر من كانون الأول ديسمبر ٢٠٢٤



الصورة لقطة من مشهد تم تصويره في أوائل حزيران يونيو ٢٠١٥ بواسطة المصور شيرفان ديرويش. المصدر: <https://www.videoman.gr/en/98986>

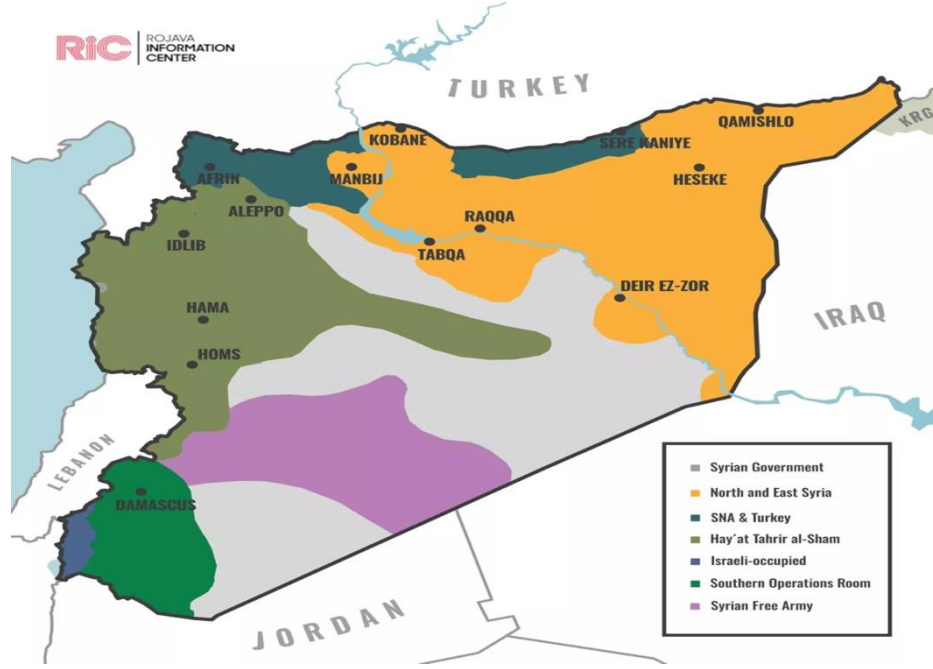
يُركز هذا التقرير الإقليمي على التطورات السياسية الأخيرة في سوريا وتداعياتها على روج آفا.

ما الذي يحدث حالياً في سوريا؟

تشهد سوريا تصعيداً كبيراً في العنف، حيث تجددت الحرب الأهلية في مناطق مختلفة. وقد حقق مقاتلو الجيش الوطني السوري (SNA) وهيئة تحرير الشام (HTS) مكاسب إقليمية كبيرة خلال الأسبوع الماضي، مما أدى إلى سقوط نظام الأسد في الثامن من كانون الأول ديسمبر ٢٠٢٤، بعد أكثر من عقد من الحرب الأهلية في سوريا.

هذا التصعيد الجديد للصراع أثار مخاوف لدى البعض منهم هؤلاء الذين يفرون من منازلهم بحثاً عن الأمان، بينما يحتفل آخرون بسقوط نظام الأسد الذي حكم سوريا خلال العقود الخمسة الماضية. على وجه الخصوص، يشهد معبر المصنع الحدودي مع لبنان طوابير طويلة من السوريين العائدين إلى بلادهم. كما يشهد معبر "جيفاغوز" المقابل لباب الهوى الحدودي في هاتاي بتركيا ازدحاماً كبيراً، حيث يتم السماح للسوريين الذين يعيشون تحت الحماية المؤقتة في تركيا بالعودة الدائمة إلى سوريا. يعيش حوالي ٦.٨ مليون

سوريّ خارج البلاد، في أوضاع مختلفة مثل اللاجئين وطالبي اللجوء المؤقت. ولا يزال مصير هؤلاء الأشخاص غير واضح.



المصدر: مركز معلومات روج آفا (٨ كانون الأول/ديسمبر). متوفر على: <https://x.com/RojavaIC/status/1865850751219855473>.

بينما يدعو الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريش" جميع الأطراف إلى الانخراط بجديّة مع المبعوث الخاصّ للأمم المتّحدة إلى سوريا، "غير بيدرسون"، لوضع نهج جديد وشامل ومتكامل لحلّ الأزمة وتشكيل حكومة فعالة، فإنّ الوضع في سوريا مُعقد للغاية بسبب تدخّل العديد من الجهات المحلية والإقليمية والدولية. يُمكن عزوّ سقوط نظام الأسد إلى عدّة عوامل: إعادة توجيه روسيا جهودها العسكرية بالكامل إلى أوكرانيا منذ أوائل عام ٢٠٢٢، وتراجع قدرة الميليشيات المدعومة من إيران وحزب الله عن دعم سوريا بعد الهجمات الإسرائيلية، والمشكلات الاقتصادية الحادة، وقوة عسكرية فقدت حافزها وقوتها بعد سنوات من الصراع المُطوّل. في تصريح حديث، وصف رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو سقوط الأسد بأنه فرصة تاريخية لإسرائيل، حيث يُنظر إليه على أنه يُضعف النفوذ الإقليمي لإيران، العدوّ الرئيسي لإسرائيل. تحتل إسرائيل مرتفعات الجولان السوريّة منذ عام ١٩٦٧، وقد استولت الآن أيضاً على منطقة عازلة مُمتدة على طول حدودها. كما تواصل إسرائيل تنفيذ العديد من الغارات الجوية في جميع أنحاء سوريا، مستهدفة المواقع العسكرية السورية. تستعد الولايات المتّحدة لحقبة ترامب الجديدة بعد الانتخابات الرئاسية. واستناداً إلى التجربة السابقة، يُعرف ترامب بكونه رئيساً شعبوياً ولا يُمكن التنبؤ بأفعاله، مما يجعل من الصعب التنبؤ بالاستراتيجيات والسياسات الأمريكية في المنطقة. تشير التعيينات الجديدة لترامب، كتعيين شخصيات رئيسية مثل "ماركو روبيو" كوزير للخارجية و "بيت هيغسيث" كوزير للدفاع إلى احتمال تبني موقف حازم. ومن الجدير بالذكر أنّ الإدارة الجديدة لترامب تبدو أكثر دعماً للأكراد، ممّا قد يُؤثر بشكل كبير على توازن القوى في المنطقة.

ما هي التدايعيات على روج آفا؟

بينما تتطوّر الأحداث في غرب وجنوب سوريا، لا تحظى روج آفا (المعروفة أيضاً باسم الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، AANES) بالكثير من الاهتمام في الإعلام الدولي. أعربت وحدات حماية الشعب (YPG) وقوات سوريا الديمقراطية (SDF) عن تفاؤلهما بسقوط نظام الأسد. وفي بيان حديث، قدّمت الإدارة الذاتية تهانيها لجميع السوريين، ووصفت سقوط الأسد بأنه لحظة مهمة، معربة عن آمالها في فتح فصل جديد في سوريا. عكست هذه التصريحات بشكل عام شعوراً مشتركاً بالأمل والتزاماً بالحوار البناء والتعاون في تشكيل مستقبل سوريا.

ورغم ذلك، فإن روج آفا، التي كانت منارة للإدارة الذاتية الكرديّة والحكم الديمقراطي، أصبحت الآن تحت تهديد كبير من قوى داخلية وخارجية.

داخلياً، هناك توترات بين قوات سوريا الديمقراطية (SDF) والقبائل العربية، مُرتبطة بالتنافس على الموارد الطبيعية والنفوذ السياسي، مما يبرز الحاجة إلى أن تُعزّز الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا (AANES) سلطتها وتتعامل مع المظالم داخل السكان العرب. في منبج، اندلعت اشتباكات عنيفة بين قوات سوريا الديمقراطية والجيش الوطني السوري المدعوم من تركيا. أفادت قوات سوريا الديمقراطية بأنها نجحت في صدّ العديد من الهجمات، لكن الوضع لا يزال شديد التقلّب حيث أفادت مصادر عديدة بأن منبج لم تعد تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية. في ظلّ هذه الظروف، يبدو من المعقول افتراض أن المدينة ستقع على الأرجح تحت سيطرة الجيش الوطني السوري. ولا تقتصر المخاطر على منبج فقط، بل تشمل أيضاً الرقة والطبقة ودير الزور، وهي مناطق يتمتع فيها العرب بتفوق ديمغرافي مُقارن بالأكراد، مما يجعل مستقبل التعاون بين العرب والأكراد في هذه المناطق غير مُؤكّد. وفي الوقت نفسه، استولت قوات سوريا الديمقراطية على مدينة دير الزور وسيطرت على المعبر الحدودي الرئيسي لسوريا مع العراق.

خارجياً، تُشكّل العمليات العسكرية التركية التي تهدف إلى إضعاف السيطرة الكردية تهديداً مستمراً للإدارة الذاتية. ترى تركيا أن قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب (YPG) المدعومة من الولايات المتحدة امتداد لحزب العمال الكردستاني (PKK). الهدف الأساسي لتركيا هو منع المنطقة الكردية المستقلة على حدودها من اكتساب وضع سياسي، حيث ترى ذلك تهديداً مباشراً لأمنها القومي. لتحقيق هذا الهدف، نفّذت تركيا عدّة عمليات في شمال سوريا في السنوات الأخيرة، وأقامت منطقة عازلة لإبعاد القوات الكردية، ممّا أدّى أيضاً إلى نزوح المدنيين. من الجدير بالذكر أن تركيا، بالتعاون مع جماعات جهادية حليفة، استولت سابقاً على "عفرين" في عام ٢٠١٨، التي كانت تحت سيطرة روج آفا. وقد أثارت هذه الإجراءات انتقادات دولية، مع اتهامات بانتهاكات حقوق الإنسان وارتكاب جرائم حرب. في الواقع، أوقفت السويد تجارة الأسلحة مع تركيا في عام ٢٠١٩ رداً على العمليات العسكرية التركية في شمال سوريا، التي تعرّضت لانتقادات واسعة بسبب انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم الحرب. لكن هذه القيود رُفعت لاحقاً خلال عملية تقديم السويد لعضوية الناتو. تلعب تركيا أيضاً دوراً حيوياً كحليف لحركات المعارضة السورية، وتُعدّ نظام دعم أساسي للقوات المتمردة في إدلب.

يعتمد مستقبل الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا (AANES)، التي تسيطر على حوالي ٣٠٪ من الأراضي في سوريا بما في ذلك المناطق الغنية بالنفط، على قدرتها على التنقل وسط هذه الديناميكيات المعقدة. الحفاظ على الدعم الأمريكي أمر بالغ الأهمية، حيث يوفر الوجود العسكري الأمريكي رادعاً ضدّ العدوان التركي. ومع ذلك، يجب على المنطقة أيضاً معالجة الانقسامات الداخلية والعمل نحو تحقيق مصالحة أكبر بين العرب والأكراد لضمان الاستقرار على المدى الطويل. وفي هذا السياق، أصدرت قوات سوريا الديمقراطية والإدارة الذاتية بيانات في الأسبوع الماضي، تحثُّ فيها جميع الأفراد القادرين على العمل بالانضمام إلى جهود الدفاع ضدّ التقدّم الأخير للقوات المدعومة من تركيا والجماعات المُعادية الأخرى. كما أكّدت قوات سوريا الديمقراطية على أهمية الوحدة والصمود بين الأكراد والعرب والشعوب الأخرى داخل روج آفا، مُشدّدةً على أنّ قوتهم الجماعية حاسمة في مواجهة التهديدات الحالية. تعمل الإدارة على تنظيم اجتماعات جماهيرية ولجان طوارئ لتقييم التطورات السياسية وتنسيق استراتيجياتها الدفاعية.

المسار المستقبلي لشعوب سوريا

تُعدُّ مجموعات المعارضة في سوريا شديدة التفتت، ولا نعرف حتى الآن كيف ستتطوّر صراعات القوى بينها. لكن ما نعرفه هو أن هيئة تحرير الشام – وزعيمها أبو محمد الجولاني – لها جذور في القاعدة وداعش. وعلى الرغم من أنها تُقدّم الآن في صورة أكثر اعتدالاً، إلا أنّ العديد من الشكوك لا تزال قائمة. من ناحية أخرى، فإن تجربة روج آفا، المدعومة عسكرياً من الولايات المُتحدة والتحالف الغربي، حاربت بشراسة ضد داعش، وقاومت ببطولة أثناء إبادة الإيزيديين، وتطمح إلى تطبيق نموذج أيديولوجي تحرري يستند إلى مبادئ الديمقراطية المباشرة، والبيئة، والمساواة بين الجنسين. لا ينبغي التغاضي عن أن حكم الإدارة الذاتية يقوم على عقد اجتماعي، وهو وثيقة تأسيسية تحمي هذه المبادئ وتضمن تمثيل وحقوق الأكراد والعرب والإيزيديين والسريان الآشوريين والتركمان والأرمن وغيرهم من الشعوب.

في أعقاب سقوط الأسد، من المهم أن نتذكّر أن السلام السلبي لا يعادل دائماً السلام الإيجابي. يجب على الشعب السوري، بكل تنوّعه وأصواته، تحديد السبل لبناء سوريا ديمقراطية شاملة حقيقية يمكن لجميع المجتمعات أن تتعايش فيها بسلام.

ملاحظة: كلمة روج آفا تعني باللغة الكرديّة جهة الشرق، ولكن تستعمل الآن كمصطلح سياسي يُطلق على شمال شرق سوريا.

ترجمته إلى العربيّة Rafah Barhoum، خبيرة التدريب اللغوي والترجمة في مركز دراسات الشرق الأوسط المتقدّمة جامعة لوند.